Secrets of (then) and its Aesthetics in the Quranic Context

Assist. Prof. Husam Ahmed Hashem
University of Basrah
College of Law
E-mail:Husam.ahmad@uobasrah.edu.iq

Abstract:

This paper examines a statement from the Quranic verses in which the conjunction letter (Then) and its aesthetic secrets are mentioned. The paper is classified into three sections. The first section discussed the connotations of (then) and their meanings in Quranic verses, while the second section discussed the true meaning of the conjunction letter (then), which is laxity, and what was distinguished by this meaning as well as this signification through context. This indication is through context, so the title of the study was laxity between truth and metaphor. As for the third section, it has dealt with the allegorical connotations of (then) including the metaphor in exclusion and in arrangement and laxity as well. The researcher has taken the Quran text as a field for this application without any other text in order to be safe from plagiarism and error and to subject these semantic concepts and harness them to serve the Quran.

Key words: then, secrets, significance, metaphor, exclusion, laxity, arrangement.

أســـــرار (ثُـــمَّ) وجماليتهـــا
في السياق القرآني

أ.م. حسام أحمد هاشم
جامعة البصرة / كلية القانون
E-mail:Husam.ahmad@uobasrah.edu.iq

الملخص:

يتضمن هذا البحث بيان الآيات القرآنية التي ذكر فيها الحرف (ثم) وما له من أسرار جمالية في السياق القرآني، فجاء البحث مقسما على ثلاثة مباحث.

تضمن المبحث الأول دلالات(ثم) ومعانيها في الآيات القرآنية، في حين ذكرنا في المبحث الثاني دلالة هذا الحرف الحقيقية وهي التراخي وما انماز به هذا المعنى وهذه الدلالة من خلال السياق، فكان عنوان المبحث التراخي بين الحقيقة والمجاز،أما المبحث الثالث فتضمن الدلالات المجازية لـ (ثم)، ومنه المجاز في الاستبعاد وفي الترتيب والتراخي أيضا.

وقد اتخذ الباحث من النص القرآني مجالا لهذا التطبيق دون سواه من النصوص،وذلك لسلامته من الانتحال والخطأ وإخضاع هذه المفاهيم الدلالية وتسخيرها لخدمة القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: ثم، الاسرار، الدلالة، المجاز، الاستبعاد، التراخي، الترتيب.

المقدمة:

لحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اطهر المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

وقد استوقفني قوله تعالى (فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) [١]، كيف عطف (الإيمان) على (فك رقبة) رغم أن الإيمان شرط أساسي لجميع الخيرات؟ و(ثُمَّ) تدل على التشريك في الحكم والترتيب والمهلة، وبهذا يكون مقتضى الكلام تقديم الإيمان ثُمَّ ذكر الأوصاف الواردة من فك رقبة أو إطعام ذي مسغبة واليتيم المسكين لماذا عكس الترتيب ؟ فلما رجعت إلى كتب التفاسير والبلاغة وجدت أن الأمر يحتاج إلى التأمل والتأني ولذا أردت أن أسلط الأضواء على بعض دلالات (ثُمَّ) وجماليتها في ضوء الأساليب القرآنية واقتضت طبيعة البحث أن تشتمل على مقدمة وثلاثة مباحث، المبحث الأول في(ثُم) ومعانيها، والثاني في التراخي بين حقيقة الزمن والحالة النفسية، والمبحث الثالث في الدلالة المجازية لـ (ثُم) ومواقعها، وخاتمة .

المبحث الأول: (ثُمَّ) ومعانيها:

بداية لابد من الإشارة السريعة إلى معنى (ثُمَّ) لغة، وسبب تخصصها للتعقيب مع التراخي دون حروف العطف الأخرى .

(ثُمَّ) أداة ربط رقيقة ، تسوس الألفاظ برفق وإذا نظرنا إلى المعنى الجذري لهذه الكلمة فنجد أن الثُّمَّ : إصلاح الشيء وإحكامه ، وثُمَّ الشيء يثمنه جمعه ، وقال هميان بن قحافة يذكر الإبل وألبانها :

وملأت حلابها الخلانجا منها وثُمَّوا الأوطُبَ النواشِجا

أي شدوها وأحكموها، و(ثُمَّ) حرف عطف ولفظها كلفظ الثُّمَّ ، والثم هو رمّ الشيء بعضه إلى بعض .... واصله من ثمنت البيت: إذا كانت فيه فرج سدّ ، لأنه ضم شيء إلى شيء بينهما مهلة ، كما أن ثمَّ البيت ضمّ شيئين بينهما فرجه [٢] ومن مفاتن هذه اللغة الشاعرة ودقة مواءمتها بين اللفظ والمعنى ، أنها اختارت (الفاء) ، وهي حرف واحد بمعنى المسارعة و(ثمَّ) وهي ثلاثة أحرف للمهلة ليواكب قصر الزمن في النطق بالفاء التوالي السريع للأحداث ويتناغم طول النطق بحرف المهلة مع التراخي في وقوع الحدث .

(ثُمَّ) تقتضي ثلاثة أمور، التشريك في الحكم ، والترتيب ،والمهلة وقد امتازت (ثُمَّ) عن الواو بالترتيب والمهلة وعن (الفاء) بدلالتها على التراخي ،ولهذا صرح إمام النحاة سيبويه قائلاً ((فإذا قلت مررت برجل راكب وذاهب استحقهما ،لا، لأن الركوب قبل الذهاب ، وفيه : مررت برجل راكب فذاهب استحقهما، إلا أنه بيّن أن الذهاب بعد الركوب ، وأنه لا مهلة بينهما ، وجعله متصلاً به، ومنه مررت برجل راكب ثم

ذاهب، فبيّن أن الذهاب بعده، وأن بينهما مهلة وجعله غير متصل به فصيّره على حدة))[٣] وقال في موضع آخر: مررت برجل فامرأة، فالفاء أشركت بينهما في المرور وجعلت الأول مبدوءاً به، ومن ذلك: مررت برجل ثُمّ امرأة، فالمرور ههنا مروران، وجعلت (ثُمَّ) الأول مبدوءاً به، وأشركت بينهما الجر))[٤]

وقد أخذ البلاغيون هذه الإشارة الذكية في الفرق بين حروف العطف وصّرحوا في مصنفاتهم أن (الواو) لتفصيل المسند إليه مع اختصار، لأن فيه تفصيلاً للفاعل، من غير دلالة على تفصيل الفعل، إذ (الواو) هو للجمع المطلق، وأما جاءني زيد فعمرو أو جاءني زيد ثُمَّ عمرو أو جاءني القوم حتى خالد، فإن فيها تفصيلا للمسند مع اختصار ولكن (ثُمَّ) مثل الفاء في الترتيب إلا أنها تختص بالمهلة والتراخي[٥]، وقد صرّح به عصام الدين طاشكبري زادة في شرح الفوائد الغياثية فقال: ((نقل عن سيبويه الفرق بين التعقيب والمهلة، أن الفعل في الأول واحد، لعدم انقطاع الثاني عن الأول، بخلاف الثاني، إذ يتخلل بينهما التراخي))[٦]

ويذكر المالقي بأن لها في الكلام موضعين: الأول ((أن تكون حرف عطف مفرد على مفرد وجملة على جملة، فإذا عطفت مفرداً على مفرد من الأسماء والأفعال، شرّكت بين الأول والثاني في اللفظ الذي هو الاسمية أو الفعلية والرفع أو النصب أو الخفض أو الجزم، والمعنى الذي هو إثبات الفعل لهما أو نفيه عنهما، نحو: زيد يقوم ثُمَّ يقعد، ولن يقوم ثُمَّ يقعد))

الموضع الثاني: إما ان تكون حرف ابتداء على الاصطلاح، أي يكون بعدها المبتدأ والخبر وإما ابتداء كلام، فالأول نحو أن تقول : ((أقول لك اضرب زيداً ثَمَّ أنت تترك الضرب، والثاني كقولك هذا زيد قد خرج ثُمَّ انك تجلس .

والمشرّكة بين الجملتين يكون كشريكهما في الخبر أو العطف أو فيهما من غير مراعاة لإسمية على فعلية أو بالعكس فنقول فثُمَّ ثُمَّ أقعد، وما قام زيد ثُمَّ عمرو ويجوز قام زيد ثُمَّ عمرو منطلق [٧]

وجاء في شرح التصريح : ((وثُمَّ مثل الفاء إلا أنها أشدّ تراخياً))[٨]ففي قوله تعالى (ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ (٢٢)[٩] عقب بـ(الفاء) بعد أن أماته لأن الإقبار في عقب الموت، وراخى بعد ذلك لأن النشور يتأخر [١٠]

ويقول العلوي في هذه الآية (قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (١٩) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ (٢٢) [١١]((جاء قوله **(من نطفة خلقه)** من غير واو، لأنها واردة على جهة التفسير لقوله (من أي شيء خلقه) الخلق هو الإيجاد لأنه لو كان التقدير لكان قوله : (فقدّره) يكون تكراراً لا حاجة إليه .

وهكذا قوله تعالى ((خلق كل شيء فقدّره تقديراً)) يكون مكرراً على مقالتهم وقوله (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩) [١٢] فهذه كلها مع غيرها تبطل كون الخلق بمعنى التقدير ، وهذا عارض، فعطف قوله ((فقدّره)) بالفاء تنبيهاً على أن التقدير مرتب على الخلق وعدم التراخي بينهما .

وعطف السبيل بثُمَّ لما بين الخلق والهداية من التراخي والمهلة، ثم عطف الإماتة ثُمَّ إشارة إلى التراخي بينها بأزمنة طويلة ، ثّمَ عطف الإقبار بالفاء ، إذ لا مهلة هناك ، ثّمَ عطف الإشاءة بثُمَّ لما يكون هناك من التراخي باللبث في الأرض أزمنة متطاولة [١٣]

ولا يخفى على المتأمل أن القرآن الكريم استعمل حروف العطف (كما هو شأنه) في مواقعها اللائقة التي قد تخفى على من لا ينظر إلى اللطائف الخفية والأسرار الكامنة، فمثلاً تأمل في قوله تعالى (وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) [١٤] فالأول عطفه بالواو التي للجمع، وتقديم الإطعام على الاسقاء والاسقاء على الإطعام جائز لولا مراعاة حسن النظم، ثُمَّ عطف الثاني بـ (الفاء) لأن الشفاء يعقب المرض بلا زمان خال من أحدهما، ثُمَّ عطف الثالث بـ (ثُمَّ)، لأن الإحياء يكون بعد الموت بزمان، ولهذا جيء في عطفه بثُمَّ التي هي للتراخي .

ومن هذا الباب قوله تعالى (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣) [١٥] فالمدة بين خلق الإنسان من طين وخلقه من نطفة هي المدة الزمنية بين خلق آدم وأول ولد من أولاده، وكذلك في قوله تعالى (ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ (١٦)[١٦] فإن الموت ذكر بعد مراحل الخلق وقد يكون ذلك بعد أعوام طويلة هي عمر الإنسان منذ ولادته حتى مماته، كما أن البعث بعد الموت قد يستغرق آجالاً طويلة لا يعلمها إلا الله [١٧]

ومثله قوله تعالى (قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (١٩) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (٢٠)) [١٨]ألا ترى أنه قال: (من نطفة خلقه) كيف قال فقدّره ولم يقل ثم قدره لأن التقدير لما كان تابعاً للخلقة وملازماً لها عطفه عليها بالفاء، وذلك بخلاف قوله (ثُمَّ السبيل يسره) لأن بين الخلقة وتقديره في بطن أمه وبين إخراجه منه وتسهيله سبيله مهلة وزماناً ، فلذلك عطفه بـ (ثُمَّ).

ومما جاء من ذلك قوله تعالى (فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٢) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا (٢٣)[١٩]وفي هذه الآية دليل على أن حملها به ووضعها إياه كانا متقاربين، لأنه عطف الحمل والإنتباذ إلى المكان الذي مضت إليه والمخاض الذي هو الطلق بالفاء، وهي الفور، ولو كانت كغيرها من النساء لعطف بـ (ثُمَّ) التي هي للتراخي والمهلة [٢٠]

وكذا قوله (فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧)[٢١] وقف المفسرون طويلاً عند عطف الإيمان على (فك رقبة) بحرف (ثُمَّ) الذي

يفيد الترتيب مع التراخي، فتأولوه مما يخرج به عن صريح سياقه وظاهر معناه ليفيد الإيمان عما قبله، والتراخي في الرتبة لا الترتيب.[٢٢]

ولكن إذا تأملنا الآيات المذكورة فنفهم أن القرآن إذ يرتب مراحل اقتحام العقبة الجدير بالإنسان المميز أن يكابده، يضع العتق والترحم خطوتين سابقتين على الإيمان لازمتين له، مقرراً بذلك أن الإيمان لا يرجى فيمن يتسلط على عباد الله بالاسترقاق، أو يتحجر قلبه فيطيق في يوم ذي مسغبة، جوع يتيم ذي مقربة أو مسكين ذي مترية، فلا موضع لإيمان صادق من مثل هذا الجاحد القاسي، يستبعد الخلق ويغفل عن حق اليتيم القريب أو المسكين في يوم مجاعة.[٢٣]

المبحث الثاني: التراخي بين حقيقة الزمن والحالة النفسية

حقيقة (ثُمَّ) الدلالة على التراخي، وهو أن يكون بين المعطوفين مهلة كقوله تعالى (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٨) [٢٤] لأن هناك مسافة زمنية بين الإحياء والإماتة ، وكذلك الإحياء في الحشر متراخ من زمن الإماتة [٢٥]. وفي الحقيقة أن الزمان لا يتعلق بالوقت والساعة وإنما هو يخضع لاعتبارات نفسية وعقلية. وتقديرات في تصور المتكلم حيناً، وفي عقل المخاطب وحسه حيناً آخر، ولأحوال ودواع تقتضيها مقامات الكلام وسياقاته حيناً ثالثاً.

وأهم ما يميز (ثُمَّ) قدرتها على إظهار وإبراز تلك الأحاسيس من خلال تحريك زمن الأحداث، مدّاً وجزراً وقبضة وبسطة بما يستطيع تصوير أحوال النفوس، وتجسيد ما يغمرها من فيض الشعور، وتمثيله في بعد حي تعكس عليه النفوس والعقول انفعالاتها وخواطرها.

فمثلاً قوله تعالى (إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥))[٢٦] فقد أبدع النظم الحكيم في تصوير أطوار الصراع المحتدم في نفس الوليد ، وجسّد في حركات الجوارح وملامح الوجه وإبراز شتات فكره وتناقضاته ، انه فكّر وأطال التفكير بحثاً عن مغمز في الكتاب الحكيم ثُمَّ قتل كيف قدّر ثم نظر وكأنه قد أعيته الحيلة بعد طول الفكر فجلس شارداً مقطب الوجه ، (ثُمَّ عبس وبسر) وأخيراً وبعد ولادة متعسرة وطول تردد وحيرة (أدبر واستكبر ...) وكأنه في كل هذا ينازع نفسه ويستجمع قواه الحائرة إلى أن خطرت له خاطرة رمى بها دون وعي أو فكر ، وكأنه يلقي عن نفسه عبئاً ثقيلاً شلّ تفكيره (فقال إن هذا إلا سحر يؤثر) فأدت (ثُمَّ) معناها في تعميق الصراع وإبراز المعاناة وتكاثف الحيرة وصعوبة التخلص من آثار الهزيمة النفسية التي خلقها سماع القرآن في نفسه .

يقول الزمخشري ((إن الوليد قال لبني مخزوم: والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو

وما يعلى، فقالت قريش صبأ والله الوليد، فقال تزعمون أن محمداً مجنون، فهل رأيتموه يخنق، وتقولون أنه كاهن فهل رأيتموه يتكهن، وتزعمون أنه شاعر، فهل رأيتموه يتعاطى شعراً، وتزعمون أنه كذاب، وما هو كذلك، فقالوا له: فما هو؟ قال: ما هو إلا ساحر)).[٢٧]

ونرى من خلال هذه الآية كيف توسطت (ثُمَّ) بين الأفعال دلالة على أنه قد تأمل وتمهل، وكأن بين الأفعال المتناسقة تراخياً وتباعداً، ولها أثرمهم في تجسيد الصراع العنيف في نفس المغيرة، من خلال وصف حركاته وسكناته وملامح الغضب التي رسمت على وجهه عند سماعه القرآن الكريم .

وهذا التراخي بسبب الحيرة يكون واضحا في قوله تعالى : (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (٢٢) ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (٢٣)[٢٨] فإن الجواب من شأنه أن يعقب السؤال، لا أن يتأخر عنه، ولا سيما إذا كان السائل هو الله العلي الكبير، ولكن حرف المهلة دلّ على ما أصابهم من الحيرة والدهشة ، فطال بهم الزمن قبل أن تطاوعهم ألسنتهم بالجواب، ولذا قال الآلوسي ((وأنت تعلم أنه لا ضرورة للعدول من الظاهر ، لجواز أن يكون هناك تراخ في الزمان بناء على أن الموقف عظيم ، فيمكن أن يقال أنهم لما عاينوا هول ذلك اليوم . وتجلى الملك الجبار جل جلاله عليهم بصفة الجلال، كما تنبىء عنه الجملة السابقة، حاروا ودهشوا، فلم يستطيعوا الجواب إلا بعد زمان ...)) [٢٩]

ويجسد هذا الحرف حالة الذعر والانهزام النفسي لفرعون وخوفه من مواجهة موسى مع مكابرته ودعواه الربوبية فتبرز تثاقله وتردده بعد أن جمع سحرته ، وكأنه يرى عرشه يهتز من تحته ، فلا يريد أن يتعجل نهاية ملكه ، قال تعالى (وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى (٥٦) قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى (٥٧) فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى (٥٨) قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى (٥٩) فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى (٦٠) [٣٠] والمتأمل لقوله : (فجمع كيده ثُمَّ أتى) يجد كيف أسرع إلى جمع كيده حين جاء ب(الفاء) ، وكيف تثاقل عن الإتيان للقاء موسى فأشعرت (ثُمَّ) بطول زمن الاستعداد وحشد الجموع وعدم المبادرة باللقاء بعد أن جمع كيده، و(ثُمَّ) هنا تدل على حالة الذعر التي انتابت فرعون وملأه، وهذه دفعتهم إلى المبالغة في الحشود والمماطلة في المواجهة، إلى ذلك يشير أبو السعود ((وفي كلمة التراخي إيماء إلى أنه لم يسارع إليه، بل أتاه بعد لأي وتلعثم))[٣١]

وتتجلى مظاهر الدلالة على الحيرة وانقباض النفس في قوله تعالى (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (٢٥) ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (٢٦) [٣٢] فقد كشفت (ثُمَّ) في الأول شدّة وقع المفاجأة وجسدّت حيرتهم وارتباكهم وأبرزت الشلل

الفكري وأعجزتهم عن الحركة السريعة وحسن التصرف، و(ثُمَّ) الثانية تشير إلى عظم المصيبة وشدة الابتلاء كما توحي إلى بطء إنزال رحمة الله ، لأن أزمان الشدّة مهما قصرت تخيل طويلة [٣٣]

ومثله قوله تعالى (إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٥٣) ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٥٤)[٣٤] فقد أشارت (ثُمَّ) إلى تأخر فرج الله تعالى وطول احتباس نفس المسلمين تحت جُدُر الهموم المطبقة عليهم جزاءً بما خالفوا أمر رسولهم سعياً وراء الغنائم .

وكذا في قوله تعالى (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١١٨)[٣٥] دخلت (ثُمَّ) هنا بين ضيق أنفسهم وعفو الله تعالى عنهم لتعطيل زمن العقاب ، وكأنها سوط التأديب يلهب مشاعرهم ، ومرارة الانتظار الطويل .

وخلاصة المسألة أن (ثُمَّ) تأتي للتراخي والمهلة، وهذا التراخي قد يكون حقيقياً بحيث يكون هناك فاصل زمني وتراخ بين المعطوف والمعطوف عليه، وقد يكون التراخي نظراً إلى الحالة النفسية والأحوال الصعبة وغيرها من المعاني.

للتراخي والمهلة إيحاءات وإشارات يجب الوقوف عندها وقفة متأمل ، وهذه الإيحاءات تختلف باختلاف المقام أو السياق، وقد يكون هناك إشارة إلى شدّة الغضب كقوله تعالى (قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا (٩٧)ئى[٣٦]، أو طول المعاناة [٣٧] أو قد يكون للدلالة على سعة الرحمة [٣٨] أو الإذلال والتحقير [٣٩] أو التلطف و المصانعة[٤٠] فمثلاً نتأمل قوله تعالى (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ (٧٩) [٤١] فهؤلاء المحرفون لصوص كلمة يتحينون الفرصة في التخفي، واستراق الأعين والعقول عند عرضها، وهذا هو الذي يومئ إليه حرف التراخي معبراً بطول الزمن بين الكتابة بأيديهم والزعم بأنه كلام الله ، مع أنهما مقترنان في الحقيقة عن الإحتيال والمصانعة وتزيين القول وإحكام الحيلة حتى لا ينكشف أمرهم، ويظهر باطلهم ، فتنزل المداهن وخداع المشتري منزلة البعد الزمني للإشعار بإحكام الحيلة وإتقانها.

وقد صرّح أبو السعود قائلاً ((و(ثُمَّ) للتراخي الرتبي، فإن نسبة المحرف والتأويل الزائغ إلى الله سبحانه صريحاً اشدّ شناعة من نفس التحريف والتأويل))[٤٢] والتراخي هنا للإشعار بأنهم يتقنون الصنعة، ويدارون عوارها قبل ترويجها ويتحينون الفرصة لتسويقها.

المبحث الثالث: الدلالات المجازية لـ(ثمَّ) ومواقعها

أول من تكلم عن دلالات (ثُمَّ) المجازية هو الإمام الراغب الأصفهاني أثناء كلامه عن (ثُمَّ) وقال: ((ثُمَّ حرف عطف يقتضي تأخر ما بعده عما قبله، أما تأخيراً بالذات، أو بالمرتبة، أو بالوضع))[٤٣]فليس الترتيب والتراخي في حرف المهلة مقصورين على الترتيب والتراخي الزماني ، بل هناك ترتيب وتراخ في المنزلة، ثُمَّ توسع الإمام الزمخشري في التراخي المفهوم من حرف العطف ليشمل الصفات والتباعد في الأحوال والمنازل، واستخرج من ذلك أسراراً للإعجاز، وقد فرق الزمخشري في أمر المجاز في (ثُمَّ) حول غرضين وهما الإستبعاد والتراخي الرتبي.

ومفهوم الإستبعاد: هو التباعد بين أمرين يمتنع ترتب ثانيهما على أولهما، أي إذا كان ما بعد (ثُمَّ) أمراً مستبعد الوقوع بالنسبة لما قبلها، أو بعبارة أخرى: إذا كان ما قبل (ثُمَّ) من الأحداث والأفعال مهيئاً لعدم حصول ما بعدها.[٤٤]

تنقسم الدلالة المجازية لـ (ثُمَّ) على ثلاثة أقسام:

١- المجاز في الإستبعاد

٢- المجاز في الترتيب

٣- المجاز في التراخي

وفيما يلي نلقي الضوء على هذه المجازات المذكورة مع بيان الأسرار البلاغية لها .

أولاً: مجاز الإستبعاد وأسراره البلاغية:

دلالة (ثُمَّ) على الاستبعاد دلالة مجازية، يشبه فيها البعد المعنوي بالبعد الحسي، المقدر بالزمن، وهو لا يقع إلا في عطف الجمل، لأن المستبعد هو وقوع مضمون الجملة المعطوفة بالنظر إلى ما عُطفت عليه، ولا يتصور ذلك في عطف المفردات لأن المتعاطفات فيها معمولات لفعل واحد، ولا تباعد مع اتحاد العامل.

وقد استقصى الشيخ عظيمة استعمالات (ثُمَّ) في القرآن الكريم وصرّح ((جاءت (ثُمَّ) في {٣٣٠} موضعا من القرآن الكريم، وجاءت في هذه المواضع عاطفة للجملة ... فلم تقع عاطفة اسماً مفرداً على اسم مفرد))[٤٥] ، وهذا الكم الهائل من الاستعمالات توحي وتنبئ عن تكاثف دلالات (ثُمَّ) وتزاحم أسرارها .

والاستبعاد عند علماء البيان هو ما يحكم الفعل والطبع والعادة ببعد وقوع المعطوف واستحاله ترتبه على ما شأنه أن يمنع وقوعه، فيشبه بعد الوقوع بالبعد الزمني، لما أن الزمن أقرب إلى الحس وأقدر على تجسيد التناقض بين المتعاطفين

وينقسم الاستبعاد على نوعين، (الاستبعاد التوبيخي والاستبعاد التكذيبي)

١- الاستبعاد التوبيخي :

وهو الأكثر وقوعاً في القرآن الكريم ، وغرضه هو استنكار وقوع الفعل والتعجب فيه ، وتوبيخ فاعله عليه ، ومنه قوله تعالى (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ (٨٣)[٤٦] يذكر الإمام الآلوسي في هذه الآية (ثُمَّ توليتم) ((أي أعرضتم عن الميثاق ورفضتموه و(ثُمَّ) للاستبعاد فيكون توبيخاً لهم بالارتداد بعد الانقياد مدة مديدة وهو أشنع من العصيان في الأول)).[٤٧]

ومنه قوله تعالى (وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (٥١)[٤٨] فإن اتخاذ نبي إسرائيل العجل إلهاً لم يتراخ زمنه عن ذهاب موسى عليه السلام لميقات ربّه كما يدل عليه قوله تعالى (وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى (٨٣)[٤٩] فما كان موسى يتركهم للقاء ربّه حتى أسرعوا إلى العجل الذي أخرجه السامري فعبدوه ، فالتراخي في حرف المهلة ليس حقيقياً ، وإنما هو مجاز عن استبعاد العقل وقوع عبادة العجل من قوم فضلهم الله وكرّمهم وأفاض عليهم من نعمه ما يستوجب الشكر ... آخرها تكريمهم بمواعدة موسى مناجاة ربّه وإلقاء التوراة عليه وهو تشريف وتكريم لهم ولنبيهم ، فالإعراض عن المنعم ولما يجفّ أثر نعمته في أيديهم، مما يستبعده العقل وينفر منه أصحاب الفطرة السليمة، فكيف بمن عبد العجل بعد هذه النعم الغزيرة؟ أهنالك بُعد أعظم مما بين تكريم الله لهم على هذا النحو من التشريف وبين أوقح صورة للعباد وأخس مثل للمعبودات؟ أو يكون دون، (ثُمَّ) أداة تصور هذا البعُد وعمُق التناقض بين جلال النعمة ووقاحة الكفران بها؟ ولذا أشار أبو السعود إلى سر العطف بثُمَّ قائلاً ((أفادت (ثُمَّ) هنا استبعاد اتخاذ العجل إلهاً والدلالة على نهاية قبح ما صنعوا))[٥٠]

وكذا قوله تعالى (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (٨٤) ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨٥) [٥١] يقول أبو حيان : (((وانتم تشهدون) أي تعلمون أن الله آخذه عليكم ، وأراد على قدماء بني إسرائيل ، وهذا العهد فنقول بالتواتر من السلف إلى الخلف (ثُمَّ انتم هؤلاء تقتلون أنفسكم) هذا استبعاد لما أخبر عنهم به من القتل والإجلاء ، والعدوان بعد أخذ الميثاق منهم وإقرارهم وشهادتهم))[٥٢]

وجاءت (ثُمَّ) لتنفي تصور إنسان يجمع بين الإقبال على الله تعالى ووضع يده في يده وإظهار القناعة والرضا، وبين نقض العهد، فلما تفرغ أعمالهم من الوعي وتباعد بينهم وبين صنيع العقلاء وكشف التناقض بين أقوالهم وأفعالهم حتى لكأنهم أشخاص آخرون غير هؤلاء الذين آخذوا الميثاق وأقروه وشهدوا عليه فجمعت لهم (ثُمَّ) بين معنيين: استبعاد حدوث ذلك في حكم العقل والعادة؟ وإبرازهم في صورة من تغيّرت ذواتهم بتغيرصفاتهم. المعنى الأول بطريق التجوز بالبعد الزمني عن البعد المعنوي ، والثاني بحقيقة اقتضاء العطف للمغايرة والإخبار عن الضمير (أنتم) باسم الإشارة (هؤلاء) وكأنه يقول أنتم قوم آخرون غير المقربين للدلالة على أن الوصفين محال عقلاً اجتماعهما في مخاطب واحد ، وهذا ما قاله الكشاف ((ثُمَّ انتم هؤلاء استبعاد لما أسند إليهم من القتل والإجلاء والعدوان بعد أخذ الميثاق منهم وإقرارهم وشهادتهم ، والمعنى : ثم أنتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون يعني أنكم قوم آخرون ، غير أولئك المقربّن تنزيلاً لتغير الصفة منزلة تغير الذات كما تقول : رجعت بغير الوجه الذي خرجت به))[٥٣]

ولنتأمل قوله تعالى(فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٨٢) يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ (٨٣))[٥٤] ((إن تولي المشركين وإعراضهم عن الإسلام ليس لعدم معرفتهم نعمة الله سبحانه أصلاً فإنهم يعرفونها أنها من الله تعالى (ثُمَّ ينكرونها) بأفعالهم حيث لم يفردوا منعمها بالعبادة، فكأنهم لم يعبدوه سبحانه أصلاً وذلك كفران منزل منزلة الإنكار... ومعنى (ثُمَّ) الاستبعاد الإنكاري بعد المعرفة ، لأن حق من عرف النعمة الاعتراف بها وأداء حقها لا إنكارها))[٥٥]

و(ثُمَّ) هنا تجسد انتكاسة الفطرة واختلال الفكرة وغرابة السلوك حين يقرّ الإنسان بأن الله هو الخالق المنعم ثُمَّ يتجه بالعبادة إلى غيره ، وأبرزت (ثُمَّ) هذا التناقض بين العلم والسلوك الذي لا يستقيم في منطق الأشياء . وفي قوله تعالى (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٧٤) [٥٦]قد أفادت (ثُمَّ) هنا الاستبعاد وقد صرّح الزمخشري قائلاً ((استبعاد القسوة من بعد ما ذكر مما يوجب لين القلوب ورقتها)) [٥٧] ، لأن (ثُمَّ) هنا مستعملة في استبعاد الوقوع وللإيماء من هذا يستبعد العاقل البنو عن الفكر والاعتبار بعد حصول ما يوجبه من الآيات فهو كقولك لصاحبك : وجدت مثل تلك الفرصة ثُمَّ لم تنتهزها [٥٨]

٢ – الاستبعاد التكذيبي :

أما الاستبعاد التكذيبي فيكون فيما لم يقع من الأفعال المستبعدة لإنكار وقوعه وتوبيخ من يدعيه أو يتوهم إمكانه بما يبرزه من تناقض بين المقدمة والنتيجة، فيكون بمثابة دليل على سفه المدعي وغفلته وغياب وعيه كما في قوله تعالى (مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (٧٩) [٥٩] فـ (ثُمَّ)

هنا للإشارة إلى تعارض بين المقدمة والنتيجة وللتجسيد لهذا البعد والمفارقة وهي بما تشيعه من حقيقتها الدالة على البعد الزمني تبرز إحالة تلاقيهما كما يستحيل أن يتلاقى من تفصل بينهم الأزمان المتطاولة ، وفي هذا الاستبعاد تسفيه وتجهيل لمن ادعى ربوبية المسيح وإظهاره بمظهر من يدعى الجمع بين المتناقضات .

ومثله قوله تعالى (يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٣) وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ (١٤) كَلَّا إِنَّهَا لَظَى (١٥) [٦٠]فقد أبرزت (ثُمَّ) البون الشاسع بين الأوهام والواقع وجسدت عدم نجاة المجرم بعد إتيان ألوان الكفر ما استوجب معه اشد العذاب ، وقد مهد القرآن لهذه النتيجة المؤلمة بألوان من المبالغة حيث علقها على المحال وهو الافتداء ، وهو محال ساقه بـ (لو) الامتناعية ، وبالغ في الامتناع والبعد بحرف المهلة على فرض تحقيق المحال ، والمستبعد هنا هو النجاة أمر لم يقع والاستبعاد لإنكار توهم وقوعه وتوبيخ المجرم وتسفيهه على طمع ما لا يمكن في العقل والعدل حدوثه ولذلك كان الردّ عليه بأداة الردع والزجر ((كلا إنها لظى)) .

وقوله تعالى عن طمع الوليد بن المغيرة (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا (١٦) [٦١] فليس الطمع في ذاته هو المستبعد إنما المستبعد أن يطمع في زيادة الله تعالى له وهو على هذه الحال من الكفر بمن يستزيده وهو ما اقتضى ردعه وزجره عما يطمع فيه ((كلا إنه كان لآياتنا عنيداً)) فكان هذا العناد والكفران هو علّة الاستبعاد .

ثانياً: المجاز في الترتيب وأسراره البلاغية:

من المعلوم أن (ثُمَّ) تمتاز عن الواو بدلالتها على الترتيب، إذ يقع المعطوف بها بعد المعطوف عليه، ولكن كثيراً من النصوص في فصيح لسان العرب وردت فيها (ثُمَّ) عاطفة على ما رتبته التقدم في الوجود كما في قول الشاعر :

إنّ منْ سادَ ثُمَّ سادَ أبُوه ثُمَّ قَدْ سادَ قَبلَ ذلكَ جدُّه

وقد ذكر المالقي سر العدول عن الأصل أن الداعي إلى المخالفة يتعلق بحال المتكلم الذي رتّب كلامه في البيت ، وفقا لترتيب المعاني في ذهنه ، حيث سبقت في علمه سيادة الابن أبيه ...)[٦٢]

وعند السهيلي سر العدول هو الاهتمام بالمقدم ، بحيث أن المتكلم رتّب المتعاطفات على حسب أهميتها ، لا على وفق ترتيبها في الوجود .[٦٣]

وجعل الرضي وجه العدول هو التدرج والارتقاء والبدء بما هو أخص، فالمقصود من البيت ترتيب درجات معالي الممدوح، فابتدأ بسيادة نفسه ثُمَّ بسيادة أبيه الخ [٦٤]

وكذا نتأمل في قوله تعالى (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٩) [٦٥] تقدم خلق الأرض على خلق السموات مع أن خلق السموات اسبق بدليل قوله تعالى (أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) [٦٦] فقوله بعد ذلك صريح في تأخر خلق الأرض على خلق السموات .

وقد بيّن الزمخشري سر العدول قائلاً ((ثُمَّ هنا لما بين الخلقين من التفاوت ، وفضل خلق السموات على خلق الأرض ، لا للتراخي في الوقت))[٦٧] فتقدم السموات على الأصل من الترتيب يصيغ الغرض من الدلالة على الارتقاء في الذكر من خلق عظيم إلى خلق أعظم منه ، وهو السر الذي من أجله استعيرت (ثُمَّ) للتراخي الرتبي .

ونتدبّر في قوله تعالى (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (١٩٨) ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٩٩) [٦٨] وقد جعل ابن عطية (ثُمَّ) في هذه الآية للاستئناف [٦٩] ، ولكن الزمخشري فسر سر (ثُمَّ) بقوله ((فإن قلت؟ كيف موقع (ثُمَّ)؟ قلت: نحو موقعها في قولك : أحسن إلى الناس ثم لا تحسن إلى غير كريم تأتي بـ (ثُمَّ) لتفاوت ما بين الإحسان إلى الكريم والإحسان إلى غيره وبعد ما بينهما ، فكذلك حين أمرهم بالذكر عند الإفاضة من عرفات قال (ثُمَّ أفيضوا) لتفاوت ما بين الإفاضتين ، وأن أحدهما صواب ، والثانية خطأ [٧٠]

وقد فصّل ابن المنير ما أجمله الزمخشري فقال((وقد اشتملت الآية على نكتتين : أحدهما عطف الإفاضتين أحدهما على الأخرى ومرجعهما واحد ، وهو الإفاضة المأمور بها ، فربمّا يتوهم متوهم أنه من باب عطف الشيء على نفسه، فيزال هذا الوهم بأن بينهما من التغاير ما بين العام والخاص ، والمخبر عنه أولاً الإفاضة من حيث هي غير مقيدّة، والمأمور به ثانياً الإفاضة مخصوصة بمساواة الناس، والثانية بعد وضوح استقامة العطف كونه وقع بحرف المهلة، وذلك أن يستدعي التراخي مضافاً إلى التغاير، وليس بين الإفاضة المطلقة والمقيدة تراخ، فالجواب غير ذلك أن التراخي كما يكون باعتبار الزمان قد يكون باعتبار علو المرتبة، وبعدها في العلو بالنسبة إلى غيرها، وهو الذي أجاب به بعد مزيد تنشيط وإيضاح))[٧١]

وكذلك قوله تعالى (فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) [٧٢] فمن الثابت أن أعمال البرّ من عتق وصدقة وغيرهما لا يدعى إليها

إلا من آمن، فتقديمهما على الإيمان، وعطفه عليها بحرف التراخي ضرب من التجوز في الترتيب قصد به:

١- الترقّي من أعمال الجوارح الظاهرة إلى عمل القلوب وهو الإيمان بالإشارة إلى تراخي الإيمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة، لا في الوقت، لأن الإيمان هو السابق المقدم على غيره، ولا يثبت عمل صالح إلا به [٧٣]

٢- أو أن تقديم الرقبة والإطعام للتركيز والاهتمام وقوة أثره في تحقيق الإيمان.[٧٤]

أو أن حرف التراخي يشير وينبه إلى وجوب تجرد هذه الأعمال من التظاهر، وهذا ما صرّح به سيد قطب بقوله ((فالإيمان مفروض وقوعه قبل فك الرقاب وإطعام الطعام، وهو الذي يجعل للعمل الصالح وزناً في ميزان الله لأنه يصله بمنهاج ثابت مطرد، فلا يكون الخير فلتة عارضة ترضية، كمزاج متقلب، أو ابتغاء محمدة من البيئة أو مصلحة وكأنما قال: فك رقبة أو إطعام ... وفوق ذلك كان من الذين آمنوا...))[٧٥]

ولا يخفى على من له نظرات متأملة في مشتبه النظم القرآني أن القرآن يختار أسلوبا في مكان ويختار أسلوبا آخر في مكان آخر لاختلاف الأغراض ، فمثلاً نأخذ قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)[٧٦]وقال في آية أخرى (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٨٩)[٧٧] يقول في مكان آخر(خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (٦) [٧٨] إذ إن الآيتين الأوليين العطف فيهما بـ (الواو) وفي الآية الثالثة العطف بـ (ثُمَّ) والسرّ البلاغي هو أن (ثُمَّ) في صورة الزمر هي الدلالة على التفاوت بين نوع من الخلق عظيم، هو إيجاد البشر من نفس واحدة، وبين خلق أعجب واغرب لبعده عما جرت العادة من تناسل الناس وتكاثرهم لان هذا الموضع هو موضع الإدلال بالقدرة والإبداع في المصنع، وهو خلق حواء من ضلع منْ خُلقَ من تراب، وذلك ما تفردت به آية الزمر واستحقت حرف المهلة بخلافها في الآيتين الأخريين إذ كان الغرض في آية النساء حثّ المخاطبين على التواصل والتواصي بصلة الأرحام فكان قوله (خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ...) تذكيراً لهم بهذه الأرحام التي تجمعهم، وذلك بحاجة إلى حرف يقرّب لا حرف يباعد .

وفي سورة الأعراف الغرض هو بيان نعمة التكاثر والإبقاء على الجنس، والتي هيأ لها بما أودعه في نفس الإنسان من ميل فطري بين النوعين، ومثل هذا المقام الذي يبرز التقارب وشدّة الائتلاف ينافيه (ثُمَّ) بدلالتها على التفاوت والبعد.

ثالثاً: المجاز في التراخي:

المقصود من التراخي هو تخلل الزمن بين المتعاطفين. وهناك فرق بين الترتيب الرتبي والتراخي الرتبي، هو أن الأول نوع من التجوز باستعارة (ثُمَّ) الدالة على الترتيب الزمني لمعنى التدرج في المراتب، ويكون فيما تقطع القرائن بأن المعطوف يسبق المعطوف عليه في الوجود، أو يواكبه في الوقوع فيؤول الترتيب بالتدرج والارتقاء في المنزلة، ويكون القصد من تأخير ما حقه التقديم الإشارة إلى علو منزلته .

أما التراخي الرتبي فهو ضرب آخر من التجوز ، يستعار فيه التراخي في الزمان للتراخي في الرتبة وهو يومئ إلى التفاوت والبعد بين منزلة المعطوف ومنزلة ما عطف عليه ، ويكون فيما يدل السياق على عدم إرادة المهلة الحقيقية فهناك يستعار الترتب الوجودي لترتب المنازل ، إيماء إلى أن المعطوف ارفع درجة من المعطوف عليه ، وهنا يستعار البعد الزماني للبعد بين المنزلتين ، فالفرق بين الترقي والتفاوت هو الفرق بين الترتيب الرتبي والتراخي الرتبي، ففي الأول ترق من أمر غريب أو عظيم إلى ما هو اغرب وأعظم ، وفي الثاني يومئ البعد الزمني إلى عظم التفاوت بين المتعاطفين، ولمزيد من التوضيح نتأمل في قوله تعالى (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ (٢٠) [٧٩] يوضح الألوسي قائلاً ((إنها (ثُمَّ) للتراخي الرتبي ، لأن المفاجأة تأبى الحقيقي)) [٨٠]

والتراخي الرتبي هنا يوحي إلى بُعد ما بين التراب الذي هو منشأ الخلق وهو مادة ميّتة ، لا صلة له بهذا الإنسان الذي يملأ الأرض حياة وبركة ، فما أبعد البشر في صورهم ينشرون في الكون من هذا التراب الجامد الذي يطأونه بأقدامهم ، فالغرض من التراخي هو إبراز التفاوت وبعد ما بين الخلقين .

أما الترتيب الرتبي فأن الغرض فيه الدلالة على أن الثاني أعظم درجة من الأول ، كما في قوله تعالى (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ (٢) [٨١] فقد عطف (قضى أجلاً) على (خلقكم من طين) والترتيب بينهما ليس حقيقياً ، لأن قضاء الأجل أسبق من الخلق ، ولذلك جعله المفسرون ترتيباً ذكرياً أواخبارياً [٨٢] وهو استعارة للترتيب في المنازل ، لأن قضاء الأجل في مجال التهديد أشد وأعظم لما فيه من التعريض بالحساب والعقاب فهو تدرج وارتقاء لا إبراز للتفاوت .

أسرار التراخي الرتبي:

لخّص الإمام الزركشي الأسرار البلاغية للخروج من تباعد الزمن إلى التباين في الأحوال والصفات قائلاً ((والحاصل أنها للتراخي في الزمان، وهو المعبر عنه بالمهلة وتكون للتباين في الصفات وغيرها من

غير قصد مهلة زمانية، بل ليعلم موقع ما يعطف بها وحاله ، وأنه لو انفرد لكان كافياً فيما قصد فيه ، ولم يقصد في هذا ترتيب زماني ، بل تعظيم الحال فيما عطف عليه ، وتوقعه ، وتحريك النفوس لاعتباره))[٨٣]

ومن هذه الأسرار :

١- التفاوت في الفضل : قد يعطف بـ(ثُمَّ) للدلالة على التفاوت في الفضل كقوله تعالى (أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا (٤٥) ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا (٤٦) [٨٤] والتعبير هنا بـ (ثُمَّ) يوحي إلى بطء الظل، وفيضانه وبدون أن يُحس انحسار، وإنما يتخلل إليك وعنك في رفق ولطف، وهذا ما يناسب حرف المهلة بما فيه من مطل الزمن، ولكن هذا لا ينسيك أن جعل ضوء الشمس دليلاً عليه لا يتراخى عن مد الظل، بل مصاحب له ، فلا يظهر الظل ولا حركته إلا بضوء الشمس، فالمهلة مستعارة لإبراز فضل الشمس وأثرها العظيم على الحياة والإحياء، فإذا كان الظل نعمة عظيمة فإن نعمة الضوء والحرارة في الشمس أعظم [٨٥]، أما فضل القبض على المد المعطوف بـ (ثُمَّ) فإنه مرتبط بالوصف (قبضاً يسيراً) وفي هذا القبض اليسير شيئاً بعد شيء من المنافع ما لا يعد ولا ينحصر، ولو قبض دفعة واحدة لتعطلت أكثر مرافق الناس بالظل والشمس جميعاً [٨٦]

ومثله قوله تعالى (وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ (١٢) لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ(١٣)[٨٧] فالظاهر أن يعطف ذكر النعمة بالفاء ، لأن ذكر النعمة ضرب الشكر فيجب أن يعقب حدوث النعمة والانتفاع بها كما تقول : أعطيته فشكر ، ولا تقول أعطيته ثُمَّ شكر ، لكن العدول إلى حرف التراخي هنا وراءه نكتة لطيفة ، هي الإيماء إلى أن شكر النعمة عند الله أعظم من النعمة نفسها فكان العطف بـ (ثُمَّ) في قوله ((ثُمَّ اذكروا نعمة ربكم)) تعظيماً لأجر الذاكرين على الحمد والشكر ، لان الذكر عمل قلبي ، وهو الذي يحرك الألسنة للثناء والشكر للمنعم .

٢- التفاوت في الشدة : بـ (ثُمَّ) للدلالة على التفاوت في الشدة كقوله تعالى (وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ (٨) [٨٨] التراخي الزمني بين عدم الإنظار وإنزال الملك غير ممكن ، لأن مدلول عدم الإنظار نفي التراخي ، فلا بد من حملة على التراخي الرتبي وبه تصير المفاجأة بالعذاب لوناً آخر من التعذيب أشد وأقسى من القضاء بالعذاب ، وهو في مجال تهديد أقسى إيجاعاً ، ولذا وضح الإمام الزمخشري رأيه قائلاً ((ومعنى (ثُمَّ) بعُد ما بين الأمرين : قضاء الأمر وعدم الإنظار ، وجعل عدم الإنظار أشد من قضاء الأمر ، لأن مفاجأة الشدة أشد من نفس الشدة))[٨٩]

وكذا قوله تعالى كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤)[٩٠] يقول الزمخشري (((ثُمَّ) للدلالة على أن إنذار الثاني أبلغ من الأول وأشد، كما تقول للمنصوح: أقول لك ثُمَّ أقول لك لا تفعل))[٩١] والسّر في كون الإنذار الثاني أبلغ من الأول، لأن فيه تنبيها على أن ذلك تكرر مرة بعد أخرى، وأن تراخي الزمن بينهما، ومن شأن ذلك أنه لا يكون إلا في شيء لا يقبل أن يتطرق إليه تغيير، بل هو مستمر على تراخي الزمان)) [٩٢]

نتائج البحث:

بعد الجولة الممتعة حول أسرار (ثُمَّ) وجماليتها في ضوء السياق القرآني استخلصنا بعض النقاط المهمة التي ظهرت خلال الدراسة والبحث :-

١- إن اللغة العربية فيها ملاءمة بين اللفظ والمعنى ، ولذا اختيرت (ثُمَّ) للمهلة ليتناغم طول النطق بحرف المهلة مع التراخي في وقوع الحدث .

٢- تمتاز (ثُمَّ) عن (الفاء) لدلالتها على المهلة والتراخي ، وللتراخي إيحاءات ودلالات يجب الوقوف عليها ، وقد حاول الباحث الوقوف وقفة المتأمل أثناء الحديث عن التراخي ، وهناك إيحاءات ودلالات لطيفة توجب التوقف عندها وقفة متأمل ، وهي تختلف باختلاف المقام والسياق .

٣- حقيقة (ثُمَّ) الدلالة على التراخي ، وهو أن يكون بين المعطوفين مهلة زمانية ، ولكن الزمان لا يتعلق بالوقت والساعة إنما هو يخضع لاعتبارات نفسية وعقلية ، وتقديرات في تصور المتكلم حينا ، وفي عقل المخاطب وحسه حينا آخر ، ولأحوال ودواعي تفتضيها مقامات الكلام وسياقاته حينا ثالثا .

٤- وقد تخرج (ثُمَّ) عن معناها الحقيقي إلى معان مجازية ، من هذه المعاني الاستبعاد وهو ينقسم على تكذيبي وإنكاري ، وقد ألقى البحث أضواء كاشفة في الفرق بينهما وقدم الأمثلة لهذين النوعين .

٥- وقد تخرج (ثُمَّ) عن دلالتها على الترتيب لأغراض بلاغية وأسرار لطيفة ، وقد تدل على التراخي الرتبي إذ يستعار التراخي في الزمان للتراخي في الرتبة ، وهناك أسرار عديدة للتراخي الرتبي مثل التفاوت في الفضل والتفاوت في الشدة .

الهوامش :

١- سورة البلد /١٧.١١

٢- ينظر لسان العرب : ٧٩ / ثثم

٣- الكتاب لسيبويه : ١/ ٤٣٨

٤- المصدر نفسه

٥- يراجع للتفصيل : المطول في شرح تلخيص المفتاح : ١٠١ ، شرح الكافية : ٢٦٧/٢ .

٦- شرح الفوائد الغياثية :٩٣ .

٧- رصف المباني في شرح حروف المعاني : ٢٤٩

٨- المقتضب : ١٠/١

٩- سورة عبس / ٢١-٢٢ .

١٠- شرح التصريح على التوضيح :١٤٠/٢

١١- سورة عبس /١٧-٢٢

١٢- سورة القمر /٤٩

١٣- الطراز :٤٣/٢-٤٤ بتصرف

١٤- سورة الشعراء / ٧٩-٨١

١٥- المؤمنون /١٦.١٥

١٦- المؤمنون /١٢-١٣

١٧- يراجع شرح المفصل : ٩٦/١ مغني اللبيب :١٢٦/١، الجنى الداني في حروف المعاني :٤٠٦

١٨- سورة عبس /١٧

١٩- سورة مريم /٢٢-٢٣

٢٠- ينظر : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ٣٢-٣٤

٢١- سورة البلد /١٧.١١

٢٢- ينظر : الكشاف : ٧٥٦/٤، البحر المحيط : ٤٧٦/٨

٢٣- الإعجاز البياني :١٩١

٢٤- سورة البقرة/٢٨

٢٥- تفسير ابي السعود : ١٠٤/١

٢٦- سورة المدثر : ١٨-٢٥

٢٧- الكشاف : ٦٥١/٤ بتصرف

٢٨- سورة الانعام / ٢٢-٢٣

٢٩- روح المعاني : ١٢٣/٧

٣٠- سورة طه / ٥٦-٦٠

٣١- تفسير أبي السعود : ٢٤/٦

٣٢- سورة التوبة /٢٥-٢٦

٣٣- يراجع التحرير والتنوير : ١٥٧/١

٣٤- سورة آل عمران / ١٥٣-١٥٤

٣٥- سورة التوبة / ١١٨

٣٦- ينظر سورة طه / ٩٧ ، الأعراف / ١٢٣

٣٧- كما في قوله تعالى (قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (٧) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (٩) نوح.

٣٨- مثل قوله تعالى (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا (١١٠) النساء.

٣٩- مثل قوله تعالى (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (٢٢) الأنعام

٤٠- ينظر قوله تعالى (وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (١٢٧) التوبة /١٢٧.

٤١- سورة البقرة /٧٩

٤٢- تفسير أبي السعود : ١٢٠/١.

٤٣- مفردات ألفاظ القرآن :٣٩١

٤٤- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري :١٩٠.

٤٥- دراسات لأسلوب القرآن :٨٨/٢

٤٦- سورة البقرة /٨٣

٤٧- الكشاف :٣٨٠/٤

٤٨- سورة البقرة/٥١

٤٩- سورة طه /٨٣

٥٠- ينظر تفسير ابي السعود : ١٦٦/١

٥١- سورة البقرة /٨٤-٨٥

٥٢- البحر المحيط :٢٨٩/١

٥٣- الكشاف : ٢٩٣/١

٥٤- سورة النحل /٨٢ .٨٣

٥٥- روح المعاني : ١٤ /٢٠٦

٥٦- سورة البقرة /٧٤

٥٧- الكشاف :٢٩٠/١

٥٨- ينظر : حاشية شيخ زادة على البيضاوي : ٣٣٠/١ ، حاشية الشهاب :١٨٦/٢، روح المعاني :٢٩٥/١، تفسير ابي السعود : ١٤٨/١ .

٥٩- سورة آل عمران /٧٩

٦٠- سورة المعارج /١١-١٥

٦١- سورة المدثر /١١ -١٦

٦٢- يراجع : رصف المباني :٢٥٠

٦٣- يراجع نتائج الفكر : ٢٥٠

٦٤- يراجع شرح الكافية : ٢٦٧/٢

٦٥- سورة البقرة /٢٩

٦٦- سورة النازعات /٢٧-٣٠

٦٧- الكشاف : ٢٧١/١ ، وحاشية الشهاب على البيضاوي : ١١٥/٢

٦٨- سورة البقرة /١٩٩- ١٩٨

٦٩- يراجع المحرر الوجيز :١٥٩/٢

٧٠- الكشاف : ٣٤٩/١

٧١- الانتصاف لما تضمنه الكشاف من الاعتزال بحاشية الكشاف : ٣٤٩/١

٧٢- البلد / ١١-١٧

٧٣- يراجع الكشاف : ٤/ ٢٥٧

٧٤- يراجع التفسير ألبياني للقرآن الكريم : ١٨/١

٧٥- في ظلال القرآن : ٣٩١٣/٦

٧٦- سورة النساء /١

٧٧- سورة الاعراف /١٨٩

٧٨- سورة الزمر /٦

٧٩- سورة الروم/٢٠

٨٠- روح المعاني :٣٠/٢٠

٨١- سورة الانعام /٢

٨٢- ينظر حاشية الشهاب : ١٢/٤ ، وروح المعاني : ٨٧/٧

٨٣- البرهان في علوم القرآن :٢٦٨/٤

٨٤- سورة الفرقان / ٤٥-٤٦

٨٥- يراجع في ظلال القرآن : ٢٥٦٩/٥
٨٦- يراجع الكشاف : ٩٤/٣
٨٧- سورة الزخرف /١٢-١٣
٨٨- سورة الأنعام /٨
٨٩- الكشاف :٥/٢
٩٠- سورة التكاثر / ٣ - ٤
٩١- الكشاف : ٢٨١/٤
٩٢- عروس الأفراح ، ضمن شروح التلخيص للسبكي :٢٢٩/٣

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم :

١- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المشهور بتفسير ابي السعود ، محمد بن محمد المصطفى العمادي (ت ٩٨٢ هـ) ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٩١ م .
٢- الإعجاز البياني للقرآن ، عائشة بنت الشاطئ ، دار المعارف بمصر القاهرة ،ط ٣ ، ١٩٦٩ م.
٣- البحر المحيط،محمد بن يوسف الأندلسي(ت ٧٤٥ هـ)،دار احياء التراث العربي ، بيروت،ط٢،١٩٩٠م.
٤- البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤ م)،تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط ١، ١٩٥٨ م.
٥- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ، محمد ابو موسى ، مكتبة وهيبة / القاهرة ، ط٢ ١٩٨٨م.
٦- التحرير والتنوير ، محمد طاهر بن عاشور ، مؤسسة التأريخ ، بيروت –لبنان ، ط١ ،٢٠٠٢ م.
٧- الجنى الداني في حروف المعاني ، بدر الدين حسن بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩م) تحقيق طه محسن ، مؤسسة دار الكتب /جامعة الموصل ، ١٩٧١ م.
٨- حاشية الانتصاف بهامش الكشاف ، الامام أحمد بن الميز الاسكندري (ت ٦٨٣ هـ) ، دار الريان للتراث، القاهرة ، ط ٣، ١٩٨٧ م.
٩- حاشية الشهاب المسمات عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي ، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي (ت ٦٩ ١هـ) ، دار صادر ، بيروت ،(د.ت)
١٠- حاشية شيخ زادة على البيضاوي ، محمد محي الدين شيخ زادة (ت ٩٠١ هـ)، المكتبة الاسلامية ، محمد ازدمير ، تركيا ، (د.ت) .
١١- دراسات لاسلوب القرآن الكريم ، محمد عبد الخالق عضيمة ، دار الحديث ، القاهرة ، ٢٠٠٤ م.
١٢- رصف المباني في شرح حروف المعاني ، الامام أحمد بن عبد النور المالقي (ت ١٧٩ هـ) تحقيق أحمد محمد الخراط ، مجمع اللغة العربية بدمشق ، ط ١ ، ١٩٧٥م.

١٣- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، ابو الفضل شهاب الدين محمد الآلوسي (ت.١٢٧٠هـ)، إدارة الطباعة المنيرية ، دار احياء والتراث العربي ، بيروت –لبنان ، (د.ت).
١٤- شرح التصريح ، خالد بن عبد الله الأزهري ، دار الفكر ، (د.ت).
١٥- شرح الفوائد الغياثية،عصام الدين أحمد بن مصطفى الشهير بطاشكبري زادة دار الطباعة العامرة،١٣١٢ هـ .
١٦- شرح الكافية ، رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي (ت ٦٨٦هـ) تحقيق يوسف حسن عمر ، دار البار للنشر والتوزيع ، قلة المكرمة ، (د–ت).
١٧- شرح المفصل ، موفق الدين بن يعيش (ت ٦٤٣هـ) إدارة الطباعة ، المبزية (د–ت).
١٨- الطراز ، يحيى بن حمزة العلوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د–ت).
١٩- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ضمن شروح التلخيص ، بهاء الدين السبكي (ت ٧٦٣).
٢٠- في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ،ط٧ ، ١٣٩١ هـ
٢١- لسان العرب ، للعلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، دار صادر ، بيروت – لبنان ، ط ١ ، ١٩٩٠ م .
٢٢- الكتاب لسيبويه ، أبو عمر عثمان بن قنبر (ت ١٨٠ هـ) ، تحقيق : عبد السلام هارون ، عالم الكتب الشركة اللبنانية للطباعة ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٣ م.
٢٣- كتاب المطول في شرح تلخيص المفتاح ، العلامة سعد الدين بن سعود بن عمر الخراساني (ت ٧٩٣ هـ) ، مكتبة الداودي ، قم – إيران ، ط ١، ١٤٠٩ هـ
٢٤- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم محمد ابن عمر جار الله الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ،(د – ت).
٢٥- المثل السائر في أدب الكاتب الشاعر ، ضياء الدين بن ابي الكرم (ت ٦٣٧هـ) تحقيق : الشيخ كامل عويضة ، منشورات دارالكتب العلمية ، بيروت– لبنان ،١٤١٩هـ
٢٦- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (٥٤١هـ) تحقيق : المجلس العلمي بفأس ، (١٤١١هـ).
٢٧- مغني اللبيب عن كتب الاعاريب ، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) ، تحقيق: مازن المبارك ، محمد علي حمد الله ، بيروت ، ط ٥ ،١٩٨٩م.
٢٨- المفردات في غريب القرآن ، الإمام العلامة الحسين بن محمد المفضل الاصفهاني (٥٠٢ هـ) تحقيق : عدنان داؤدي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ،١٩٦١م.
٢٩- المقتضب ، أبو العباس المبرد ، عالم الكتب ، بيروت .
٣٠- نتائج الفكر في النحو ، عبد الرحمن بن محمد أبو القاسم السهيلي (ت ٥٨١هـ) تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود علي محمد عوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٩٩٢ م.